الامراء الحرفوشيون

حكام بعلبك والبقاع وما يليهما (١)

٣

الشعراء الذين مدحوهم

كان هؤلاء الأمراء يقربون الأدباء من الكتاب والشعراء والوجهاء ويجرون عليهم الأرزاق ويجزلون عليهم الصلات فالتف كثير منهم حولهم وكان من الأمراء شعراء و كتاب وادباء عرفوا بآثار اقلامهم الكثيرة مما افضت في وصفه (بتاريخ سورية المجوفة) و (تاريخ الأسر الشرقية) المخطوطين واشرت اليه في ابحاثي الماضية فلذلك اكثر الشعراء مدح الأمراء ومراسلتهم ومناقشتهم ومما يجدر بالذكر من ذلك الآن ما اختصره تعريفا لشؤونهم

ارسل الأمير يونس الحرفوشي الى مكة كيسا (خمسمائة غرش) الى الشيخ محمد بن الحسن بن زين الدين العاملي المتوفى سنة ١٠٣٠ هـ (١٦٢٠) م في مكة (لأن اهل الشيخ محمد كانوا في بلاد الحرفوشي «بعلبك») مع رسول فأبى قبولها ولكن قبل أن يرسل اليه بقيمتها هدايا كما اتفق مع الرسول . ففعل الأمير برأيه

وكان الشيخ علي بن محمد بن الحسن بن زين الدين العاملي المذكور هنا نحو سنة ١٠٢٠ هـ (١٦١١) م في بلاد الحرفوشيين فانتقل في هذه السنة الى كرك نوح واقام بها مع اسرته مدة لأن والده كان في العراق

---

(١) تأخر منشئ المقالة الى الآن عن تتمة بحثه بداعي انحراف صحته مدة طويلة وهو الآن يكتب هذه الكلمات من على فراش الداء فالمعذرة من القراء الكرام

وعمره هو نحو ست سنوات لأنهم وقع عليهم تحامل واحترق لهم ببلادهم (جبل عامل) نحو الف كتاب من المخطوطات النفيسة ، فدرس هنا على الشيخ محمد الحرفوشي وغيره من تلامذة ابيه وجده، وهو مؤلف كتاب (الدر المنثور في المأثور وغير المأثور)

وكان للأمير موسى بن علي الحرفوشي الشاعر مراسلات ومدائح دارت بينه وبين الشيخ محمد بن الحسن بن زين الدين والد صاحب (الدر المنثور) الآنف ذكره

وكان احمد الطبيب الخلاصي في نحو سنة ١١٤٧ هـ (١٧٣٤)م شاعر الحرفوشيين وله ديوان في مديح الأمير اسماعيل منهم وابنه ونسخته المخطوطة في المتحف البريطاني ولم نقف عليها لننقل منها شيئاً في وصفهم

وكانت بين الأمير محمد بن علي بن احمد الحرفوشي المتوفى سنة ١٠٥٩ هـ(١٦٤٩م) وبين شيخه الشيخ شرف الدين الدمشقي واصدقائه الشيخ محمد جواد الكاظمي في العراق والأمير محمد المنجكي في دمشق مراسلات وقصائد

وكان الشيخ محمد بن الشيخ محمد حسن من آل مروه العامليين المتوفى سنة ١٢٢٦هـ (١٨١١م) مقربا من الأمير محمد الحرفوشي وهو شاعر فلا يبعد أن يكون له فيه مدائح

وقد قرأنا على عتبة مسجد النهر في بعلبك الذي جدّده الأمير يونس الحرفوشي سنه ١٠٢٨هـ(١٦١٨م) تاريخا في اربعة ابيات مشوشة الوزن جاء بيت التاريخ منها قوله ولا نعلم لمن هي :

مذ تمت اعماله تاريخه ... اثابه الله على ما عمرا

ومن ذلك ما نظمه الشيخ عبد الرحمن التاجي البعلبكي في قصر الأمير

عمر الحرفوشي حاكم بعلبك مؤرخا بناءه سنة ١٠٧٨هـ(١٦٦٦م) من قصيدة طويلة قال فيها :

عمر الأمير الندب من غمر الورى احسانه الصافي فكل يحمد
ليث يريك البرق في يوم الوغى عضبٌ يجرِّدُهُ وطرف اجردُ
من اسرة سادوا الورى بمكارم غرٍ وآلاء لهم لا تجحد
اعني (الحرافشة) الكرام ومن لهم عز يذل له العزيز الاصيد

وختمها بقوله

ولذاك ثغر السعد قال مؤرخا قصر زهي للأمير مشيد

وقال الخوري نقولا الصائغ الراهب الحناوي الكاثوليكي يؤرخ دار الأمير اسماعيل في بعلبك سنة ١١٤١ هـ (١٧٢٨م) في ابيات منها :

نسل الأماجد ذي الإمارة من سما بعلائه وذكائه اعلى القنن
ما أنت إلا بدر افق حوله شهب البنين تنير في ظلم الدجن
حي لحي الذكر حيٍّ مؤرخا دم بيت اسماعيل فردوس عدن

وارخها ايضا ثانية بقوله من ابيات :

هنئت يامولاي بالدار التي شيدتها يامن له تفدى المهج
ونعمت فيها بالرفاه وبالبنين الغر ما صدحت حمائمها هزج
فاعتز في مغنى السعادة واتئد وابهج بما تاريخه مغني البهج

وقرأت في مخطوط ببعلبك تاريخا لضريح الأمير عمر الحرفوشي المدفون في النبي شيث سنه ١١٢٠ هـ (١٧٠٨م) من ابيات فيها تشويش

لتبك الخزاعي مقلة الجرد والسخا ومهج الحشى والسمر والبيض والخيل
وتندبه غيد حسان كواعبٌ لهنَّ البها والحسن تاج واكاليل
ويفقده المظلوم اذ هو منصف وضيف المنا إذ من انامله سيل

وقد ختمت بهذا البيت

لألف ومية (١) ثم عشرين بعدها لهجرة من وافاه بالوحي جبريل

---

(١) تسهيل مائة ليستقيم الوزن

وعلى دار الأمير سلمان في عين قرب الفيكه هذان البيتان :

شاد سلمان العلى نسل الفخام   بهجة الدار ادخلوها بسلام
وحماها اسعد في سعده   بالقنا الخطي والبيض الحسام

وقرأت للقس حنانيا المنير اللبناني مقامة سماها (الحرفوشية) ضمنها حادثة في تطبيب احدهم في قرية نَبْحَه من اعمال بعلبك سنة ١٨١٧ م وفيها نوادر ولطائف

ومن القصائد التي وقفت عليها (١) في مدح الأمير الشاعر وهي فريدة قول الشيخ محمد بن الشيخ حسن بن الشيخ زين الدين المعروف بالشهيد الثاني المتوفى سنة ١٠٣٠هـ(١٦٢٠م) من ابيات قال في التخلص فيها:

والدهر ذو السن بالمدح ناطقة   اكامل زانه الإفضال والحسب
موسى ابي الجود قد حاز الكمال كما   يحاز بالسبق في ميدانه القصب
الوارث المجد والأفضال عن سلف   له كما في البرايا يورث النسب

الى أن قال :

به سمت بعلبك الشام وافتخرت   إذ لم تحز مثله مصر ولا حلب
اولم يكن ذكره في النطق ما حسنت   الفاظه وهي مع ذكر له ضرب
كذاك لو لم يكن في بذله ذهب   حال الندى في الورى لم يكمل الذهب

وفي مكتبة السيد محمد حسن بن السيد جواد المرتضي في بعلبك بضع عشرة قصيدة استنسختها بعناية الصديقين الشيخين علي زغيب وتوفيق الصاروط وهي فى مدائح الحرافشة بقلم السيد محمد الحسيني من آل المرتضى في بعلبك وهو من شعراء القرن الثالث عشر للهجرة فمنها قوله في مدح جميع الأمراء من قصيدة :

إن الأكارم آل حرفوش لهم   خطر تقاصر دونه الأخطار
وهم المناصب لو علمت بهم وهم   عين الوجود وغيثه المدرار

---

(١) ارسل الي هذه القصيدة الصديق الاستاذ العالم الشيخ سليمان ظاهر النبطي العاملي

وهم ذوو الأصل الكريم كما أتى النـ / ـقل الصحيح وجاءت الأخبار
قوم لهم نصر النبي محمد / فهم لدين محمد انصار
وهم الأسود الضاريات إذا الوغى / شبت وفرّ الفارس المغوار
لا عيب فيهم غير أن نزيلهم / عنه الأكف من الملوك قصار
كم من وزير ذاق طعم سيوفهم / فلوى ومنهم (احمد الجزار)
ما الغيث اندى منهم جودا ولا / في ربعهم ابدا يضام الجار

ومما قاله في مدح الأمير امين من قصيدة

الله ولى بعلبك وقطرها / من آل حرفوش الأمير (أمينا)
فرعى رعاياها وجانب ظلمها / برضى الإله فزاده تمكينا
وكفاه ما يخشى وكان له على / كيد الأعادي ناصرا ومعينا
هو ماجد الف المعالي وارتدى / بردائها من حين كان جنينا
وروى المكارم عن ذويه وارتوى / منها وكان بنيل ذاك قمينا
جلّ الذي اولاه حسن شمائل / وحباه مجدا شامخا ومبينا
جود كمنهل الحيا ومكارم / ضربت شمالا في الورى ويمينا
يلقي عصاه الجار منه بمنزل / رحب ويأوي من حماه عرينا
ويظلّ من صرف الزمان وريبه / ومن النوائب في حماه امينا

وقال من قصيدة في مدح الأمير قبلان :

طوبى لبعل إذ غدا الوالي لها / من آل حرفوش الفتى قبلان
الماجد الندب الذي اخلاقه / روض سقاه العارض الهتان

الى أن قال

فرع الخزاعلة الذين بيوتهم / في المجد دون محلها كيوان
وفتى الحرافشة الذين سيوفهم / تردي العدى واكفهم سحبان
وربوعهم مأوى الكرام ودورهم / يأوي لها وتحلها الضيفان
ويحل جار علاهم في معقل / منهم فليس يناله السلطان
ولقد نزلت بهم واهلي قد نأت / بهم الديار وشطت الأوطان
فحدوا لي المعروف حتى خلتهم / اهلي وأن أباهم علوان

ووجدت قبلانا فتى لم يحكه في المكرمات وصنعها الفتيان

وقال يمدح الأمير امينا ايضا ويهجو شيخ قرية تمنين في بعلبك من قصيدة

إنا نعيذ معاليكم بياسين ونستعيذ بكم من شر ياسين
اشقى شيوخ قرى بعل واكثرهم اذيةً وفسادا شيخ تمنين
المستحل اذى ابناء فاطمة رهط النبي وابناء الميامين
والبائع المتجر الباقي بعاجله والمشتري الحظ من دنياه بالدين

وقال في التخلص :

ارى اذاه ولكن لاارى احدا إلا الأمير امينا منه يحميني
حسبي عليه ابو قبلان منتصرا ومنجدا منه يحميني ويشفيني
وهو الأمير الذي ما زال ينجدني بنصره وعلى الأعداء يعديني

وقال يمدح الأمير نصوحا بن الأمير جهجاه من ابيات ويعرض بعميه

إني حمدتك يانصوح وانني غير الحميد من الورى لم أحمد
ياطيب الأعراق سبحان الذي اولاك اخلاقا كما الروض الندي
يا ابن الفتى الجحجاح والشهم الذي بسوى العلى وردائها لم يرتد
حاكيت والدك الكريم مكارما وعليٌ وكنت نظيره في السؤدد
وغدوت شرواه امير خزاعة واليك واردها يروح ويغتدي
قُلدت ضبط لواء (بعل) فازدهت بك (يانصوح) وكنت خير مقلد
اصلحت فاسدها وسست امورها شروى ابيك وكنت غير المعتدي

الى أن قال :

وتركت عميك (١) اللذين تزايدا صدا ولم تر فيهما من مسعد
يطآن من عرض البسيطة فدفدا عند المساء ويصبحان بفدفد
واهاً لصنعهما وآها منهما شابا ولم تر منهما من مرشد

وقال من قصيدة يمدح الأمير فاعور :

عرّج بربع خزاعة المعمور من بعلبك وعج بذاك (الطور)
تلقى به راحاتهم تهمي ندى وتضيء اوجههم كمثل بدور

---

(١) يريد بهما الأميرين امينا وسلطانا وكان بينهما وبينه خلاف استفحل امره

فأهدي لهم مني التحية مجملا ... ومفصلا سيما على (فاعور)
فرع الحرافشة الذين تقمصوا ... قمص المعالي من قديم دهور

وقال من قصيدة يثني بها على الأمير جواد :

وقائل لم تجدّ السير مجتهدا ... تذود نضو المطايا عن مراعيها
امنتهى الأرض تبغي قلت مبتدرا ... قصدت بعلا واهوى أن ادانيها
فقال : بعل بلاد الفسق قلت له ... الآن قد حسنت من حسن واليها
اعني ابن سلمان ذا المجد الذي عرفت ... به الأماجد قاصيها ودانيها
اطريت ندبا تزيل الهمّ همته ... اذا الهموم تغشتها غواشيها
يحمي النزيل ويلقى الضيف مبتسما ... اذا أتى وديون المجد يوفيها
كل الكمالات رب العرش صيرها ... من حظه فتعالى الله معطيها
حلم وعدل وجود وافر ونهى ... ينهى الأهالي ويعفو عن تعديها
فليس بعل على ما كنت تعهدها ... اليوم بعل على ما أنت تبغيها

ومنها :

جواد قد جاد ربّ العالمين به ... على البلاد فياطوبى لأهليها

وقال من قصيدة أخرى فيه ايضا :

وما ذاك الفتى المحمود إلا الـ ... ـخزاعي ابن سلمان جواد
اخا حكم تدين له البرايا ... وذا بأس يذوب له الجماد
إذا ما سلّ يوم الروع سيفا ... فأعناق الرجال له حصاد

وله بضع قصائد اخرى كلها غرر منها قوله يعاتبه

لئن صدت سعاد فلا ملام ... فقد منعت عوائدها الكرام
تكاثر صدهم والود منهم ... تقشع وانجلى منه الغمام
وقد قلّ الوفاء فلا وفاء ... لأبناء الزمان ولا ذمام
وقطبت الوجوه فلا رواء ... بها للوافدين ولا ابتسام
وأجدبت الأكف وكان قبلا ... لغيث نوالهم فيها انسجام
فواوجداه قد غشى الليالي ... عقيب ضيا كواكبها الظلام
ووا اسفاه قد مضت المعالي ... غداة مضت اهاليها الفخام

ولو لم يبق بعدهم جواد أخو العليا وماجدها الهمام
فتى ابناء حرفوش المفدى وعاملها المثقف والحسام
لزالت بهجة الدنيا وولت محاسنها وجللها القتام

وقوله يؤرخ ولادة ابنه الأمير محمد سنة ١٢٤٣ هـ من ابيات :

سلطان ياذا الفتى المحمودسيرته في كل ما بلد يابيضة البلد
فليحيَ شبلك في امن وفي دعة وفي الصفا قال تأريخي وبالرغد

وله في هذا الأمير مخمس بليغ ايضا يمنعنا ضيق المقام عن نشره ونشر غيره من الأشعار البليغة الرشيقة

أما الأزجال التي قيلت في هؤلاء الأمراء فهي كثيرة منها مجموعة في حروبهم مع ابراهيم باشا المصري (١٨٣١ – ١٨٤١م) وهي على نمط الاقاصيص المشهورة بلغة عامية وشعر من الزجل أو المعنّى وضعها ظاهر رحيمه من قضاء النبك عثرت عليها بخط سقيم

وكذلك ما نظمه الزجالون (القوّالون أو قوّالو المعنّى) في وصف حروب القرن الماضي ولا سيما حوادث سنة ١٨٤١و١٨٤٥ و١٨٦٠ فإنهم ذكروا الأمراء الحرفوشيين الذين شهدوا تلك المواقع ومدحوا بعضهم وهجوا الآخرين إلى أن كفت ايديهم عن الحكم في اواسط القرن الماضي

فمن زجليات ظاهر رحيمه قوله بلسان الأمير خنجر لأبناء عمه يحذرهم وينصحهم ويصرح بأسمائهم مطلعه :

قال ابو السعود قولاصادقا والنار في قلبي تزيد سعارا
فهودهداك الله خذلي رسالتي مكتوبة بالخط والاسطارا

ومن المدائح الزجلية قول المرحوم ابي نايف ابراهيم بن شبلي المعلوف احد المقربين منهم هو ووالده وجده واعمامه واولادهم انشدها بصوته الرخيم حينما عاد الأمراء سلمان واسعد وجهجاه وسلطان الحرفوشيون

من الاستانة اثبتها هنا لحسن اسلوبها وهي من نوع القصيد الذي ينشد على نغم الرباب

قال المتيم بحق الدهر نظم كلام   ياقصة عالتهالك ردت ابديك
أبدا باسم المهيمن قولها بنظام   عالدهر والخون والايام لابنيك
يا دنيا ما السبب فملك علي هام   مالي اسيه بطريقك دوم راضيك
خنتيني باهل المكارم بعد عز التام   بعد الصفا والهنا هذي توااليك
سلمان ابو حسين ابو الصعلوك والايتام   ياريت طول المدى يشرب صفاويك
جيت المدار ما ردت علي سلام   قلت يا دار وايش الصاير بيك
قالت لي الدار صاير لي عنا وسقام   قلت كوني صبورا على فرقة اهاليك
قلت يادار مالك حزينة الطير فوقك حام   والبوم والصل عشعش في قرانيك
وين المشاعيل (١) هلتضوي بجنح ظلام   وين المهابيج هلتصور (٢) اراضيك
ردت تقول لي تراني رحت بالاوهام   خمنت بالعصر ناس تقول اهديك
قلت يا دار أنا وانت على الاحكام   تاشوف حق الخيانة كيف يرضيك
ان إجا حقك علي انت رضي وانابنضام   وإن جاحقي عليك ما بباديك (٣)
قالت تمشى وقوم إنهض وشد حزام   فقلت بالله أنا والحر جاييك
مشيت أنا حافي وهي تنقبت بلثام   هادي الطموحه وأناما لي مساليكي (٤)
بساع فزوا (٥) لها الباشات عالاقدام   قالون يا المصونة شو المغنيك (٦)
قالت الشرع بيني وبينه بينقام   صيحت مين يبدا قلت داعيك
قلت يانصرة المظلوم ونصرة المنضام   هي الكادت بالسميدع ريتها بيك (٧)
قالون حقك عليها بذمة الاسلام   وابقى بلومان (٨) دهرك تايوافيك
من بعد ابو حسين ابو الصعلوك والايتام   من عقب سلمان يا قلة عوافيك
وان كان يادار ربي رايدلك الإنعام   يرجع ابو سعود لاوطانك يسليك
نذرا علي وان عادت رجعت الأيام   ازين القاع وارض العين والفيكي
تمت قولي باذن الواحد العلام   (معلوف) قايل حروفا الك وبانيك

---

(١) التي تنير (٢) التي ترتج لها (٣) اقاصك (٤) هذه الطامعه وانا المتحير (٥) اقاموا على الاقدام
(٦) الذي اتعبك (٧) هي التي اظهرت كيدها به ياليت كيدها بك (٨) اللومان السجن المطبق

ولخليل الياس هاشم المعلوف قصيد في الامراء على هذا المنوال لم اقف عليه الآن

ومن الازجال التي قيلت في الحروب الماضية قول حسين ابو الحسن يذكر حرب العامية وابراهيم باشا المصري من قصيد وصف فيه الامير خنجر بقوله :

ويوم السبت قام المصير قايد	العساكر طالعه مثل الغمام
دقت الطبله وصاح السيطري	قال قرب لي حصاني يا غلام
ابن ابي سويدان راد الانفصال	قوسه بالفرد كلمه ما بزم

وقول يوسف السكاف الزحلي في موقعة العريان سنة ١٨٤١ م واهل زحلة

ايا عريان زحله موت احمر	اجوها الفوارس واشتروها
واو مايكون ابوطعان[١] معكم	المويه من البقاع ما شربتوها
غدا يجيكم ابو سبته[٢] بسيفه	يفككك للرموز التربطوها

هذا ما استطعت جمعه من اقوال المقربين من الامراء الحرفوشيين ممن مدحوهم او عاتبوهم من شعراء وزجالين ووجهاء نالوا لديهم مكانة واجزلوا لهم العطايا وخلعوا عليهم الثياب النفيسة . فسبحان مبدل الاحوال

دمشق في ٢٥ ت ١ سنة ١٩٢٤

عيسى اسكندر المعلوف
عضو المجمع العلمي

---

(١) ابو طعان هو الامير محمد الحرفوشي الذي ساعد العريان (٢) وابو سبته الامير خنجر المشهور الذي ساعد الزحليين (راجع تاريخ زحلة صفحة ٢٠٦ و ٢٠٥) ويقال ان الامير خنجر خلع على يوسف السكاف فروا ثمينا لما انشده هذه الزجلية

العرفان، كانون الأول ١٩٢٤، من صفحة ٢٣٣ إلى صفحة ٢٤٢